قلنسوة الأدب

بقلم يوسف السباعي

سيرة ذاتية و مسار مرشح في تحدي القراءة

مؤسسة عبد الله الشفشاوني

مشروع تحدي القراءة العربي نسخة 2015/2016

Scanné avec CamScanner

قلنسوة الأدب

بقلم يوسف السباعي

في ربيعه الحادي عشر.

Scanné avec CamScanner

شـــكر

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم من قريب أو بعيد في تسطير هذا الكتيب الذي نعتبره دليلا للمقبلين على مشروع تحدي القراءة العربي ينير طريقهم ويدلهم على مسيرة مرشح كافح وناضل من أجل الإبقاء على الأمل مفتوحا لأبناء العاصمة العلمية ويفتح الآفاق للمشاركة الدولية بكل طموح وعزم.

نشكر مخلصين من زودنا بالشحن الكافي وأوحى لنا بالثقة بغية إنجاب الأفكار وتوليد المعلومات لأكون مشكاة مضيئة للجيل الصاعد.

تشكراتنا موصولة إلى دولة **الإمارات العربية** والهيأة المشرفة على هذا المشروع الضخم ثم **وزارة التربية الوطنية** ومعها كل الأطر التربوية راجين تقديم الدعم اللازم والكافي لإنجاح هذا المشروع الأدبي.

Scanné avec CamScanner

قلنسوة الأدب

بقلم الطفل: يوسف السباعي

تاريخ ازدياد: 08/02/2005 مكان الازدياد: فاس

المؤسسة: عبد الله الشفشاوني- المرنيين فاس

- شهادة التقدير والتميز " الإمارات العربية المتحدة"

مسلمة من أمين عام تحدي القراءة العربي "نجلاء سيف الشامسي".

- شهادة الاستحقاق والتميز " مشروع تحدي القراءة العربي"

مسلمة من الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة فاس مكناس.

Scanné avec CamScanner

- شهادة التميز والاستحقاق برسم الموسم الدراسي 2015-2016.

حائز: شهادة التقدير والاعتراف ب " القارئ الجيد" برسم الموسم الدراسي 2013-2014.

كتاباته : قلنسوة الأدب – مسيرة مرشح.

Scanné avec CamScanner

تقديم

سكن قلبي وأحشائي، قرة عين لي ولأسرته، أن أقدم له في هذا الكتيب شرف لي كبير وعظيم. رأيت فيه الإبن البار، المحافظ، كريم الطبع واسع الخيال تواقا للمعرفة غيورا على الأدب. زج بنفسه غلابا في مشروع تحدي القراءة العربي رغم فتوته وحداثة سنه، أنار له طريق الفكر والقراءة ليجد نفسه بين قرطاسه والقلم، يكتب وينتقي يصوغ ألفاظه مؤلفة على صورة تفي بالغرض المقصود وأفعل في نفوس القراء وسامعيه.

أقبل ولم يدبر، لم يتوانى أو يتوارى في تكوين فكره بل في خدمة لغته وأدبه، من أجل ذلك كان لزاما علينا

Scanné avec CamScanner

تشجيعه والدفع به لقدره ومكانه بيننا تلبية لنداء الواجب وإرضاءا للضمير.

ندعو له ونبارك خطواته راجين أن يتنسل عن هذا الكتيب إخوة وأخوات تعج بها مكاتب القراء وتغني بها فكر الأمة.

عبد الجليل السباعي

Scanné avec CamScanner

الفصل الأول

Scanné avec CamScanner

-1

حديث الصبا

يستطيب للرضيع أن يقفز على ثدي أمه، ويشرب ما يشبع رغبته من الحليب دوما، فتضمه إلى صدرها وتقبله قبلات غير مقطوعة ولا ممنوعة، تناغيه، وتغني له أغاني الصباح والمساء، يشتاق إليها ويستشرفها. ينام لذلك نوما عميقا، يجعل أمه تطيل إليه النظر وتحمد الله على قسمات وجهه الجميل، داعية له بالخلق الكريم. وسرعان ما خبت ابتسامة الرضيع عند حضور أبيه الذي حسبه غريبا عنه، عندما كان يداعبه بحركاته المخيفة المرعبة بعيدا كل البعد عن استلطاف الأم وحنوها رقتها ولطفها.فكان لخوفه منه وقع على ملامحه، وأثر في عينيه، ومما زاد المنظر إثارة

Scanné avec CamScanner

وغرابة ذلك الخلاف الحاد بين الأم والأب، وهي تدافع وتدود عن ابنها تماسكا لمشاعره وإحساساته الرهيفة تلاه تحول في المزاج لم يفهم الرضيع فحواه.

مرت الأشهر الست الأولى، وتعلم الطفل الرضيع أول خطواته حبوا تارة يقف وتارة يسقط وبدأ يفهم نوعا ما ما يدور حوله، وما أن تماسكت أضلاعه وخفت حركاته حتى أخذه الأبوان في رحلة خلوية إلى طنجة، وبها بحث طويلا عن طفل نظير له، يرافقه ويلهو معه، وهو يحس في نفسه كفراشة تائهة ، تبحث لها عن رحيق في حديقة أزهارها مزيفة،لا لأن المدينة لا يوجد بها أطفال بل لأن تربيته الصالحة وتنشئته الطيبة لن تجعلاه يتمكن من وجود طفل بمثل تربيته وبخفة القط.

Scanné avec CamScanner

كان الرضيع ملئ قلبيهما، ملكا لا تاج يضاهي تاجه.

وتمر الساعات ولم يظفر بطفل يؤنسه ويشبع رغبته في اللعب، فكان يختلف إلى الشاطئ صحبتهما آملا أن يجد الصديق والرفيق ليلقاه أخيرا طلق الملحيا وسيما، وقد نيف السادسة من عمره، وكانما شعر له بنفس ما شعر به الطفل المخلق من عطف وود، وقد كان من الأصناف الذين لا يخلفون إذا وعدوا ولا ينكثون إذا عاهدوا، لا يتوانى ولا يتوارى عن الملاهي ولا الملذات، فحميميته أضفت عليه حب الصبا وزادته أملا وحبا للحياة، فانس بمرآه أنسا عظيما. مر الوقت سريعا، والطفلان يلعبان سويا، والأب المواظب يقوم بالتقاط الصور، ويكتب تعليقاته خلفها، باحسن العبارات وأبلغها معنا وأفصحها أساليبا، فقد كان ينتقي عباراته وهو يتذكر ما مر به في سبيل ارتداء شيء قدم الغالي والنفيس

Scanné avec CamScanner

من أجله، استعصى عليه لضيق الفكر وحيلولة الأدب إنها قلنسوة سينسج خيوطها، ليضع تاجها عوضه الابن الصاعد.

Scanné avec CamScanner

-2

وداع الصديق وفراسة الأدب

يلتقي الطفلان فيلعبان ويلهوان، فرحين بما جادت لهما أمواج الشاطئ وحلاوة المتعة، كان كل منهما يتتبع صديقه، ذهابا وجيئة في غذوه ورواحه، والأبوان يفرجان عن ابتسامة تبدي نواجدهما وتبيح قراءة كل ما يكمن من حب وحنان وود في أهوائهما وكيانهما، وقد كان الأب لا يعرف مصدر حيرته شيء ما يخطر بباله وما يراه، ينتصب بين عينيه ويستقيه، إنه شدة الأسف على شبابه الذي طوى رداءه ولم يحقق فيه حلمه في الأدب، ومن تم شدة اللهف على تلقين ابنه، فتعلم الابن للأدب ومجاله قد يكنس ما علق في كيان

Scanné avec CamScanner

أبيه من لوعة الحزن والأسى، وحرقة الأسف والندم على ما فرط في جنب الأدب.

وتستحيل الشمس إلى مغربها فيودع الطفل صديقه قائلا:

إلى اللقاء إلى اللقاء يا صديق الشاطئ

سيحلو ويتجدد اللقاء في أحلى الأجواء

- ويهتز كيان الأب ويطير فرحا، ويكمل البيت بشعر آخر يؤازره :

نادى الرحيل بالفراق - هل بعده لقاء

نادى الرحيل بالفراق - هل في اللقا رجاء

ولنجعل في أيادينا - رمز اعتصامنا

إنا وان طال الأمد - سنسعى للإياب

Scanné avec CamScanner

وبرجع الطفل تبعا لذلك إلى البيت مع أسرته، فيرتمي على صدر أمه يبكي بكاء الضرير لفقد عينيه. وتمر السنون وهو بالمستوى الرابع من السلك الابتدائي بامتياز وتفوق كبيرين، شوقه إلى الأدب **كان دليله على وجود الأديب، من علمه فكان سيده ومولاه معينه وسنده، عكازه ومتكؤه "لحسن كريم" حسن خلقا وكرم طبعا وتعليما. رأى فيه الطفل الواعد، فكان اهتمامه به مصحوبا بنوع من الانشراح.** أبان له الألفاظ وأوضح له المعاني من أدب وأركانه إلى بيان وفلسفة، فلم ير في مساره التعليمي ذهنا أحد ولا أمضى، ولا فطرة أقوم ولا أسلم من ذهن هذا الغلام وفطرته. وكان يرى قدرته في الفهم والإدراك لم يسمح الدهر بمثلها لفتى في مثل سنه.

Scanné avec CamScanner

ومما زاد الفتى طموحا ورغبة، نظراته لأبيه منهك القوى بعد رجوعه من عمله المضني، يجاهد جهاد المحارب فكان يساعده مرات، ومرات لا يستطيع إلى ذلك سبيلا.

ويقف الطفل بهمة الشباب وعزم الرجال، يرتقي ويكتب ويسيل مداد أدبه على صفحاته وقرطاس دواوينه.

Scanné avec CamScanner

-3

نمو في العمق

شيء ما يستشعره الطفل وما يراه، كثرت تساؤلاته وتعقدت إرهاصاته، وسرعان ما خبت مشاعره وإحساساته، وانطفات ابتساماته الواسعة، فتلاشت فرحته، وتحولت إلى غضب قارب التهور، فالأطفال من شاكلته غالبا ما يكون موقفهم سلبيا في هذه المرحلة، مرحلة الاطلاع على الواقع وبناء أركان المستقبل ولبناته، ثم النظر إلى محيطه من زاوية أخرى ببعد أكبر وبصر أحد، يخلصه من تلك الماهيات المجردة والإرهاصات اللامنقطعة، فصار يحس بتعابيره وخياله وأسلوبه المتفتح المتعدد المجالات، عريض القعر سهل الفهم والمنال.

Scanné avec CamScanner

فكان حسن الخَلق والخُلق، بعيدا كل البعد عن الرجل المسكين الذي قرأ عنه في نص من النصوص أنه كان تعس الحظ، كبير الأنف، مفلطح الجبهة، أسمر الوجه، واسع الفم، قصير القامة، وما يزينه إلا تلك القلنسوة المعززة بذباب يتشكل في مجموعة جند تتبع كبيرها وصدرها، والقناع الذي يتنكر فيه غالبا ما يكون مساحيق النساء حتى يصل ذروة الخَلق كما وصل ذروة الخُلق.

إن توليد أمثال هذه القصة واستحضارها تجعل من هذا الكتيب طريفة، بفضلها تنأى عن الملل وتبتعد كي لا تتصور نفسك في مواجهة شيخ هرم، طاعن في السن ينتظر لحظات انتقاله، يتكلم بحزم ملقيا قصته كانه يلقي بوصيته.

Scanné avec CamScanner

وكان ممن تبسط لهم الملائكة أجنحتها، محبا لأبيه عاشقا لأمه، معجبا بالكتاب، منبهرا بالشعراء، ينمو ويرتقي شيئا فشيئا، فرنة الإسلام وصوت الدين والإيمان يضجان في مسامعه.

فهو من اخترق حلمه حدود دماغه، حلم تاييد اللغة العربية ونصرها كونه كان من احد الناظرين لواقع اللغة العربية وما مرت به إبان عصر قوتها وحضارة ثقافتها ثم ما آلت إليه زمنا بعد آخر من مواجهة اللغات الأجنبية لها ومحاربتها من الغرب وأهلها، فلم يكن الحبل المتين الذي تعتصم به سوى ذلك الرجل الشهم العظيم من أسدته بناتها وأفضت إليه بذات نفسها فكان الحافظ لها والآمن عليها ومدافعا عنها، ومن ثم اجتهد الغلام فعرف بذكائه

Scanné avec CamScanner

وفطنته، وعدم تسرب اليأس إلى قلبه فكان يسهر كل السهر لقراءة كتبه ومستملحات قصصه ويجعل أمه تبعا لذلك ساعته المنبهة ويستسلم للرقاد.

Scanné avec CamScanner

الفصل الثاني

Scanné avec CamScanner

-4

مشروع في الطريق

نهض الطفل من نومه بكل حيوية ونشاط، مستعدا ليوم جديد ولنزهة ممتعة له مع أبيه، جمال الطقس له وقع على ملامح الناس وإيقاع سيرهم، ومما زاد المنظر بهاءا، مرح الأب مع ابنه في الطريق، وما هي إلا لحظات قليلة، حتى رن الهاتف رنة انتفض لها قلب الأب ليتلقى خبرا جمدت له دماؤه في عروقه، جعله يبتسم ابتسامة خبيئة طويلة، فلمعت عيناه بذلك البريق الذي يبدو في وجه الملاكم عندما يتاهب إلى توجيه ضربة قاضية، فاوصى ابنه تبعا لذلك أن يجلس على طوار أحد الشوارع قبالة مبنى المؤسسة التعليمية في انتظاره. وبعد هنيهة يعود الأب أدراجه.

Scanné avec CamScanner

- ليتك تعلم مدى فرحي بك وسروري بمشروعك !

- مشروع... أي مشروع يا أبي أنا لا أفهم شيئا مما تقول أفصح من فضلك !

- إنه مشروع تحدي القراءة العربي ستشارك فيه يا بني.

- كلا يا أبي فالأطفال أمثالي لا يمكنهم.. فقاطعه أبوه بلى يا بني يمكنهم، فلم يسبق لأحد أن خلق كاتبا أو أدبيا فالعلم بالتعلم والتمكين بالمراس.

- حسنا ما طبيعة المشروع وما مدى أهميته ؟

هذا مشروع تحدي القراءة، أطلقته دولة الإمارات العربية على يد عاهلها محمد بن راشد آل مكتوم، ومن أهدافه تنمية مهارات الطلاب في التفكير التحليلي والنقد

Scanné avec CamScanner

والتعبير، وبشراكة مع وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية.

أما مدى أهميته، فتتجلى في محاولة تاييد اللغة العربية من خلال إعارتها موطنا من أكبر المواطن التي تحتلها اللغات الأجنبية والغربية، ورد الاعتبار لها لما لها من قدر ومكانة بين السواد الأعظم للأمة.

فسر الطفل لما سمعه أشد السرور ،سرورا لا حد له ولا حاجز، فايقن أنه كان لزاما عليه، وعلى كل عربي صادق في ولائه بل على كل مسلم ملتزم بإيمانه، أن يحفظ هذه اللغة ويعنى بها حق الحفظ والعناية. فامتلأ وجدانه وكيانه طموحا واجتهادا، ونزل عند رغبة أبيه، وتزود لذلك أدبا فصار من السهل عليه اكتساب الأفكار والمعارف، حبا في

Scanné avec CamScanner

تنمية رصيده اللغوي فقد تطلب منه هذا تشجيعا وتدريبا كبيرا. ويمكن القول أن هذا الطفل، قد بلغ مرحلة مهمة في حياته بالمشاركة في هذا المشروع. ولا بد أن تمر به ساعات مهما كان فيها طاهرا بريئا مجتهدا وثابتا، يشعر فيها ببعض آلام خفية تلدغ نفسه وتؤلمها، آلام نذرة الكتب، فنشوة العزة وضوضاء العظمة تتطلبان منه مرور المسلك الذي يوصله إلى حقبة فحوله، وتحوله من تلميذ متطلع راغب في الأدب إلى كاتب جرئ اللسان فصيح صاحب معان وبيان.

Scanné avec CamScanner

-5

تمحيص وانتقاء

استعد الطفل للمشروع استعداد المحارب للمعركة، وصار ينتقي أفصح العبارات، من أبلغ الكتب، فقراءة الكتب الجيدة مثل محادثة أفضل العقول في القرون الماضية، فسرت بذلك القراءة في دمه سريان الكهرباء في أسلاكها، فلم يعد يجد لذة من لذات الدنيا أكثر من الجلوس إلى أبيه للاستماع إلى أروع الروايات، وأكبر الشعراء، وأمجد الكتاب وأنبل القصاصين. ينطلق الأب في محاولة لانتقاء أحسن الكتب لابنه، لكن نذرتها في مستواه لم تمكنه من وجود الجيد منها. وقد انفجر حزنا وأسى، ونذرة الكتب تتردد في أذنيه بالتتالي، فتوفر كتب موحدة لمؤلف واحد لا غير يجعل

Scanné avec CamScanner

الإنسان يكافح عبثا في الحصول على التنويع المنشود والمرتجى. ويرجع الأب إلى البيت كالمعتاد، يتهافت على سريره وكأن عبرات تترقرق في عينيه، ويأتيه الطفل مستغربا مالك يا أبي ؟

أجبني هل لي بمعرفة مصدر وأصل أساك وحزنك؟

يجيب الأب:

لا طاقة لي ولا قوة. بالنسبة لأي شيء يا أبي؟

الكتب ! الكتب !

ما ذا أوضح أكثر يا أبي؟ قلة الكتب مرة أخرى يا بني.

يا أبي إذا كنت متاكدا أن مصدر حزنك هو قلة الكتب وتواجد البسيط منها فقط لا غير، فإن الجواهر تكون وسط

Scanné avec CamScanner

الحجر، ومن الحجارة ما يخرج منه الماء، فيمكنك اعتبار تلخيصي وتعبيري جوهرة تتلألأ بين الحجرات الدرر.

صار أسلوب الفتى يرتقي رويدا.. رويدا، وكان كلما ذر قرن الغزالة، استفاق بكل حيوية وقوة، وقام بحركات رياضية بهلوانية يضحك بها أباه كل يوم وكل صباح ليذهب إلى عمله داعيا له راضيا عن مثابرته، ولا يحس بمرور ساعات عمله إلا عندما يجد نفسه في البيت منهكا فيلذ له أن يرى ابنه منهمكا في عمله، حتى يهجم جيش الظلام فينظر عبر النافذة تجلي العروس الرنج في قلائدها الذرية، وعندما يرى أبويه مقبلين على العشاء يخاطبهما قائلا: هي الكراسي تفتح ذراعيها لاستقبالكما فتفضلا بإلقاء نفسيكما

Scanné avec CamScanner

بين أحضانها، وكان لا يعجبه من الكلام إلا المتكلف المصنوع/ ولا من المعاني إلا المجلوب والموجز المختزل.

ياتي يوم الامتحان المحدد ويتنفس الصعداء قائلا لأبيه: **اليوم بمشيئة الله تحقيق لحلمك، فربيع قلبك في ربيع مراحله يعدك بالعطاء وكشف الغطاء عن مكنون عقله وخباياه، يقول له: لن تذهب مجهوداتك سدى ولا أمالك هباءا ! دعاؤك ورضاك عني وأمي دليلي ومقودي للنجاح.**

وهناك بمؤسسة "عبد الله الشفشاوني" محيطه الذي تمدرس وتربى فيه ونهل منه كل ما يحتاجه، أساتذة ومؤطرون أكفاءا دافعوا عنه ودفعوه بتوصياتهم وتوجيهاتهم إيمانا منهم برسالة النشا تاطيرها والحفاظ عليها.

Scanné avec CamScanner

دقت ساعة الاختبار فاصطحب المؤطر الكريم "كريم" المشاركين الأربع دررة النفيسة يقارع بها المتميزين من المؤسسات على الصعيد الجهوي متسائلا عمن يكون سليل الأدب وحامل اللواء، فجهده أضناه ورجاؤه باق، فلابد من فوز لذررة الزكية - تتويجا للمؤسسة ومجهوداته اللامنقطعة.

Scanné avec CamScanner

-6

مصيرة مرشح

دقت ساعة الحسم، ويدخل المتبارون حلبة التباري كل يدلي بدلوه ، يوم لا ينفع قلم ولا كتاب إلا من أتى اللجنة بعقل حاد وجواب شاف. ويتقدم الغلام ببراءته وسرعة بداهته، فيلقي بكلمة تقديمية في حق اللغة العربية، عزها ومجدها، وما آلت إليه زمنا بعد آخر، بلغت لها القلوب الحناجر فاستمرت اللجنة معه في موضوع كلمته، بارزته فكان كفئا للنزال، حسن اللفظ جيد الأسلوب، أحسن أدبه في تلخيصاته، وعمها اقتباسات وإيجاز، من خيرة ما جادت به قصصه الصغيرة، وما استوحاه من دهائه وفكره. فاعتبرت اللجنة بذلك عقله من العقول الراجحة،

Scanné avec CamScanner

وآراءه من الآراء المستحصدة. نعم، لقد كان طفلا وديعا كيسا نشأ غريبا في أطواره وأخلاقه، متفردا بصفات قل أن تجتمع لأحد في مثل سنه. فكان جريئا جامعا بين الشجاعة في وجوه أعدائه إلى درجة التهور، وبين الحنو على أصدقائه إلى درجة الضعف، والرقة إلى البكاء على بؤس البائسين منهم. وكان كريما متلافا بالرغم من طفولته، لنسير إلى القول أن طفولته كانت إلى حد ما ضربا من الخيال. وقد أفرج أعضاء اللجنة عن ابتسامات عريضة، إيذانا ضمنيا على فوز المرشح مما أضفى على الطفل والمؤطر كثيرا من الانشراح.

وفي بحر أسبوع ، تتوصل إدارة المؤسسة بالخبر السار، وكم كانت المفاجاة جميلة عندما علم الطفل، أنه قد التحف بغطاء الأدب بعد التحاقه بركب المميزين على

Scanné avec CamScanner

الصعيد الوطني. وهنا بدأت حكاية الطفل، الذي أبهر الجميع بقدرته على التحمل وصار عمله خاليا من العياء والتعب، فكان لسهره وقع على ملامحه وصوته، الذي صار يملؤه الضجر. وكان السر في ذلك أجمعه خماسية الدفع من ساندته وأوحت إليه:

أب، أم ، مؤطر، مؤسسة وإصرار.

سمت نفس الطفل، وازداد طموحا وإصرارا. وكثرت تشجيعات الأساتذة والمؤطرين له، وصار يحس بشيء يدفعه إلى العمل بجد أكبر واستمرارية أطول، فكان كلما خلا واستحال إلى عمله ، تذكر آثار مشروع تحدي القراءة العربي عليه، وفضائله التي حلت به من جعل كلامه يرتقي شيئا فشيئا، حتى صار فصيحا واضح المعنى، جيد السبك سهل اللفظ، وما ينطق بكلمة إلا انتقاها انتقاءا، واقتبسها اقتباسا،

Scanné avec CamScanner

ومرات يتناصها من الكلمات التي تتداولها ألسنة الكتاب والمفكرين التي تجري بها أقلامهم. فصار شديد الشوق إلى النقد البناء، الذي طالما استمع إليه من أفواه البلغاء والمفكرين، من كان أبوه يجره إليهم جرا، أعلاما أسسوا للفضيلة في المجامع أو من وراء تلفاز.

كان لا يترك كلمة واحدة إلا تناولها بالتعقيب والنقد، ليصير له بذلك ذوق سليم يميز به بين صوت العندليب وأصوات البوم والغربان، جاعلا نصب عينيه تقارب الألفاظ، ومخارج الحروف الذي يضر بالسمع ويخل بالمعنى.

ولم يكن له من المشجعين، غير خماسية الدفع الذين يفهمون حقيقة نفسه وجوهرها، ويقدرونه حق قدره. وكان الغالب عليه خلق الحشمة والحياء لا الخجل لكن، ورغم

Scanné avec CamScanner

حياته كان بليته العظمى في حياته ومنبع شقائه، أنه كان يفقد السيطرة على نفسه وتركيزه، ينطلق انطلاق الصبي في لهوه، إلى درجة تلفت النظر وتستثير الدهشة، فكان يعلم ذلك حق العلم ويتالم له ألما كبيرا، ويجد الفضل كل الفضل في قراءة الكتب لأنها مفتاح التركيز والخير عليه.

Scanné avec CamScanner

-7

بريق الأمل

حان إبان رحيل الطفل من مؤسسته، وتسليمه إلى الأكاديمية. حينها ودع كل الأطر التربوية، وجميع أصدقائه وهم يتبادلون معه آخر النظرات. ولجها فكانت مغرية، جدابة ومنيرة في بنائها وتصميمها، التقى فيها باصدقاء أوفياء، أنس بمرآهم من أول نظرة لمحهم بها فكانت أفكارهم طيبة، مستقاة من الأدب الذي يعتبر مفتاح المشاركة في هذا المشروع والنجاح به.

فصار يبيت ويصبح، ويضحي ويمسي على قراءة الكتب التي يستعيرها من أصدقائه الجدد، يطرب ويرقص على أنغام الأدب، فوفدت إليه الأفكار مجندة وسرت في

Scanné avec CamScanner

معسكر ذهنه. فاصبحت مبادراته أكثر جدية ثم كثرت تساؤلاته وتعقدت إرهاصاته التي أضحى يتبادلها مع أصدقائه بكل نشاط وحيوية في هذا المحيط الجديد، فمن جد وجد ومن زرع حصد ومن وقف على باب دخلها ولو كانت من حديد.

خضع المتميزون لتكوين خاص من طرف الأكادميين قبل الاختبار النهائي بالعاصمة الرباط، فعرف الكل مستواه وتحددت معاليم أفكارهم.

كانوا يعتقدون أن كتاباتهم مهما سمت أفكارها وجليت تعابيرها، لا يمكن أن تقع بعقل لجنة تستوعبها للتو، فتقبلها ما دام أعضاؤها جددا لا زالوا في طور التعرف عليهم، وبفضل التواصل صار التعلق بهم شديدا،

Scanné avec CamScanner

فاستطرفوا أحاديثهم، واستطابوا كلماتهم الجليلة ذات المغزى العظيم، والأسلوب الرائق الذي تولع به الأذهان، وتعجب به الألباب المليئة بالخيالات الطائرة الهائمة في جو الأدب.

جاء الموعد المخصص للامتحان وقد ألف الطفل جو الأدب، ذكي الفؤاد، غزير التعابير والألفاظ، قوي الإرادة سامي العقل بعيد الغور في الأدب طليق اللسان بليغ القلم.

استفاق الجميع من نومهم القلق ومضجعهم المضطرب، وصحبة الأطر التربوية، ركبوا حافلة فخمة لم يعلموا وهم فيها أين سيطؤون أقدامهم وقد اعتبروا ذلك من مصائب الدهر ورزاياه لسرعة الاختبار.

Scanné avec CamScanner

بين التاهيل والاختبار يومين، شيء غير متوقع ولا منتظر/ طال المسير إلى موقع الحدث والمتميزون يستعدون الاستعداد الأخير للاختبار، فمنهم من حمل جوازاته يحفظ قصصه، ويسترجع أحداثها، ومنهم من يستظهرها، ومنهم أيضا من يستنشق هواء النصر والنجاح، وما ذلك عنهم ببعيد. وآخرون يطربون وينشدون دفعا للقلق والرهبة ولا زال شانهم كذلك حتى دقت الساعة الثامنة وجاء وقت الحسم.

Scanné avec CamScanner

-8

حيلولة الوقت

ابتهج المرشحون وتهللت وجوههم، عند وصولهم المكان الذي ازدان بالقدوم. وقد بدا لهم حفلا أدبيا بامتياز، فقد كان كل من شاركهم الحديث، يواجههم بالفاظ أدبية جميلة المعنى حسنة التعابير فصيحة النطق، حقا إنهم أبناء الأسرة الواحدة، أسرة الفكر والأدب. الشيء الذي أذكى حماسهم وبعث فيهم روح الشجاعة والإقدام التي نهضت من أجدائها بعدما استسلمت إلى الموت، لولا هؤلاء البلغاء الذين أحيوها من جديد. شيء ما يحسه به المتنافسون ولا يفهمونه، خفقان قلبهم السريع وهم ينتظرون. وبغتة، يرن جرس البداية، ويرفع الكل جوازاته، كانه يرفع علم بلاده

Scanné avec CamScanner

مشيرا إلى الاستعداد، ويتقدم الطفل الشهم الشجاع نحو اللجنة، دون سابق معرفة عن أطوار الانطباع وسيرورة الاختبار وردات فعلها مع ما امتزج داخل شخصيته من خجل وحياء.

وبالفعل، كان المؤطران نقيضا الطبع أحدهما يحيي الانفتاح لدى الطفل ويلهمه والآخر أديب بليغ في ألفاظه لن تستطيع أن تعرف ما يدور بخلده، سريرته وطويته، يطلق رصاصات أسئلته، والطفل قاصر على فهم لهجته لصعود مقامها وارتفاع لفظها، لا لسوء السبك وضعف التبليغ، لكنها الدهشة ورعب الامتحان الذي تمكن من الطفل وفي غير وقته، لتنتقل الكلمة إلى المختبر الآخر فيهدئ الأوضاع، ويفهمه أكثر، وتارة يلقنه الجواب بابتسامته الواسعة، والتي

Scanné avec CamScanner

كان مردها رؤيته للطفل وهو يتنفس الصعداء، وكانه يتهيأ لمبارزة أحد ما أو بصيغة أدبية، يحاول اختراع أو ابتكار شيء في جملة حسنت موطنا وموقعا في كلماته تسمى الصنع اللفظي. يستظهر بسرعة فائقة، يواجه بها الوقت محاولا جذب اللجنة إلى مواضيع مختلفة، حسن فيها رأيا ونظرا. كان يحاول إيقاف الوقت، وهو يحقد على تلك العقارب والتي يتخيلها تهزأ منه عن طريق مرورها بسرعة، وكانها تعدو عدو الظليم بحثاً عن النهاية لتخيب رجاء الطفل في النجاح، ولا زال يكافح حتى رن صوت النهاية من هاتف أحد أعضاء اللجنة، وقد حسبه صوت بومة أو غراب لشدة حزنه وفقدان أمله في النجاح ليختم كلامه قائلا:

Scanné avec CamScanner

لا تخشوا جائزة جئت أطلبها فإني شريف وللأشراف أحساب.

ويخرج منكسا رأسه، والعبرات تترقرق في عينيه، وتبرق بريق البرق أو ضوء المنارة، وهو يتمنى أن يصرخ بأعلى صوته حتى يفرج عما يكمن ويملأ أغوار قلبه ووجدانه فيقول:

مالهم لا يهتمون وإذا قرأت عليهم كتبي لا يعبؤون، وهو يتذكر منظر العقارب التي كان يراها أمامه، ولا يزال حاقدا عليها، ويحس أنه سيجد لذة كبيرة في تفجيرها، ويستطيب ذلك كثيرا. ثم يرن عليه هاتف من أبيه وكان أول ما قال:

Scanné avec CamScanner

أبي إني قرأت كتبي ليلا ونهارا، فلم تزدهم قراءتي إلى فرارا. ويطول الحوار بين الطفل وأبيه، فجن جنونه وعلم بما كان ويقول له الأب:

ألم يسبق لي أن قلت لك: أن الأمل لا يعتبر بناءا مرصوصا بل من المباني الآيلة للسقوط تلك منة الله عليك لمزيد من المثابرة فحياتك مشروع كبير ينتظرك.

Scanné avec CamScanner

9-

جائزة الرضا

آن وقت رحيل الطفل، بعدما صارت القاعة خاوية على عروشها لا يملؤها إلا الجماد لا نأمة فيها ولا حركة، ودخل الجميع الحافلة التي تطوي الطريق طيا، والطفل يتساءل عن سبب ملاقاته للفشل والإخفاق والياس من الحياة فلم الياس؟ وهو لا يزال في عنفوان شبابه. لقد قدم كل ما في وسعه لكن سوء الحظ لزمه وما عاد يفارقه. المعرفة والعلم وحدهما قادران على إرشاده وتنويره، بل دعمه والدفع به، وهو يتجاذب أطراف الحديث مع مؤطرته على ما كان من أمر الاختبار، اضطربت رجلاه، وارتعدت يداه، واصطكت أسنانه قائلا: أيتها المؤطرة إليك عني ! إليك عني !

Scanné avec CamScanner

فقهقهت ضاحكة، ما الذي أصابك أيها البطل؟

أصابني ما يصيب الأبطال من النحس وسوء الحظ يوم العرض، وازدرد ريقه ثم قال وهو يشير بإصبعه نحو جوازاته:

أنا... أنا لم أبرهن عن قدراتي ومررت في الاختبار كانني نموذج لجميع أصدقائي من سيختبرون بعدي فما لهذا النحس لا يفارقني؟

لكن علم المؤطرة بالأمر لم يضف إلى ملامحها شيئاً ولم ينقص، وكأنها تنبأت بذلك من قبل بالرغم من معرفتها الجيدة لإمكانياته ومواهبه.

رجع الطائر إلى عشه، وما أحلاها من أيام قضاها مع أبويه داخل العاصمة العلمية حيث نشا وتربى، تعلم فيها

Scanné avec CamScanner

الأصول ونهل منها كل ما يحتاجه ويفتقر إليه من وجوه علمية، وكراسي دينية، ومساجد أشرقت بنورها البلدان والأقطار.

حل يوم الجائزة الكبرى، ويتقدم المتميزون صحبة المؤطرة في المقاعد الأمامية لقاعة التتويج، والطفل شاخص بنظره إلى الأعلى يستحضر تلك العقارب الحقيرة، الرديئة والمنحطة وكأنه يستشهد بها كونها كانت سببا في إخفاقه ولو قبل معرفة النتيجة. نعم، حيلولة الوقت حالت دون إرضاء نفسه وإرضاء اللجنة الموقرة.

ينطلق حفل التتويج، ويتناول أهل الحل والعقد بالقاعة الكلمات الأدبيات التامات إشارة لما لهذه اللغة من قدر ومكانة من بلاغة واستحسان.

Scanné avec CamScanner

ويتقدم السيد الوزير "رشيد بالمختار"، ويلقي بكلمته تلخيصا لما أتى به هذا المشروع من فضل وخير على أبناء هذا الوطن شاكرا لأنعم القراءة والقراء ثم الساهرين على المشروع. وأثناء مداخلتها تتقدم الأمينة العامة للمشروع السيدة المحترمة. "نجلاء سيف الشامسي" بكلمات أثنت فيها على الساهرين والقائمين فضلا عن المشاركين المتميزين.

يسود الهدوء القاعة، ويتسلم المتميزون جوائزهم، ويتم توشيحهم بجائزة الرضا من سطرت لهم دربا جديدا في الأدب، وخطا جديدا للعلم والمعرفة.

وعلى غرار المتميزين أمثاله، يتسلم جائزته ويتم توشيحه من طرف الوزير نفسه، منوها ومشجعا له، وقد

Scanné avec CamScanner

سمح له بإلقاء كلمة في هذا الحفل البهيج، أمام الحضور من الشخصيات والأطر التربوية وآباء وأولياء التلاميذ، كلمة خص بها اللغة العربية، أهميتها وفضلها كونها لغة القرآن والخطاب يوم العرض، ثم معيقاتها وما آلت إليه بعد انكسار شوكتها وحلول لغات أجنبية بديلة عنها، مما أثر في مسامع المجتمعين بعدما كانت الكلمة مؤثرة ومدوية في إلقائها وتعابيرها، في انخفاض مقامها وارتفاعه، كلمة ارتجلها وأحسن سبكها وسواها، تعالت لها التصفيقات والتنويه، والكل يشجعه ويقبله فيتقبل منهم التهاني والتبريك، وكانه قد حاز الجائزة الكبرى التي لم تكن من نصيبه ليرفع القلم عن المشروع ويجف المداد.

Scanné avec CamScanner

-10

أخر العهد

ينقضي عهد المشروع، ويعود الطفل أدراجه بعد أن حاز جائزته، وتعاوده تلك الإرهاصات والتساؤلات، كيف أسير وإلى أين أمضي، بعدما أصبحت ولوعا وشغوفا بالأدب. وكان كلما تناسى المشروع، استذكره بمعية أصدقائه حين يسألونه: مالك يا صديق ؟ ماذا حل بك؟ ما سبب عترتك وكبوتك ؟

فكان جوابه من جنس أدبه وخالص فكره جوابا شافيا مرضيا يقول: لابد للجواد من كبوة فلقد أذنبت والذنب مغتفر فإن أول مذنب أول الناس، فما لكم زنوا كلامكم فإنما يبدي عيوب ذوي العيوب المنطق.

Scanné avec CamScanner

وكان كلما قام صدر النهار، يتذكر بنات الصدر التي مرت عليه وحلت به، فيذهب إلى صدر أسرته في الأدب أباه، فيقتات منه غذاء روحه الذي غرست نبتته في قلبه أثناء مشاركته في المشروع، فتبين له أن بحر العربية عميق يبحث عن غواص يسأله عن صدفاتها ليطرق انطلاقا منها باب الأدب ويدخله من مدخله الأساس بلاغة واضحة، بيان، معاني وبديع.

صار يبحث فيها عن أبلغ العبارات، وأفصح الأساليب، فينهل منها ويوظفها في تعابيره ويغني بها رصيده، ولكن ما هو باللطيم ولا باليتيم ولا بالعجي، بل وراءه أب وأم، هما أساس عقله ودماغه، فؤاده ووجدانه، يساندانه ويساعدانه. فصار يحس بنفسه رجلا ومن المسلم أن الرجال

Scanné avec CamScanner

مخابر وليست مناظر، ولهذا فالطفل يحاول أن يكون قدر مسؤولياته يقوم بواجباته ويتحمل عواقب تصرفاته.

طارت أيام المشروع في السماء، وطار معها التبرم الذي كان يملأ عقله والإرتياب الذي يشغر كيانه، وتنتهي بذلك أيام الطفل الوديع المبتدئ ليستقبل العهد الجديد، عهد الشباب بعدما صار أسلوبه سلسا واضحا.

كانه الماء النمير المترقرق على بياض الحصباء. فما أعظم كلماته مخاطبا والديه: خذا ما شئتما من قلبي! سيبقى لي منه ما يكفيني، وإن كان لابد لكما أن تحتفظا بقلبي فاعيراني قلبيكما بدلا منه.

بأسلوب بديع مقتبس، وفكر خالص مرتجل ، سيرة ذاتية – أخي القارئ- لك أكتبها محاولا أن أكون رمزا

Scanné avec CamScanner

للأجيال وقنا للشباب، أبلغ رسالتي قبل الفراق والتساق الساق بالساق، طريق عرجت عليها أضاءت حياتي، وضعتني على درب الأدب هي الآن طريقكم أقبلوا ! تعلموا! واقرؤوا، كتبا لكم وزجوا بانفسكم في هذا المشروع الطموح! مشروع أمة، مشروع تحدي القراءة العربي دعما للأدب وإكراما للغة.

Scanné avec CamScanner

مبادرة كتابة شعرية

طرق الطفـــل بيتـــــا * ذا بـــــــــــاب الأدب

في ربيعــــه الحـــــادي * عشـــر فيــــا للعجــــب

يتشارك كلمــــاته وأســـــا * ليبه معيــــة الصحــــب

قراءتــــه للكتب ترســــــل * إلى مسامعه صــــوت الــــطرب

دراسته للغــــة تخبـــــي * في نفســه نــــار الغضـــب

لم يوصـد بــابه يومـــــــا * فهو من أهــــل العرض والنســـب

فيض من العــلم علمـــــــه * "كريم" شريف الأصــــل والحســــب

خالج نفســـه حـــــب * البلاغة ممزوج ببديــــــع الكتب

جدّي عملــــه خـــــال * من علامات العياء وسمات النصـــب

عاش مشروعــــه سعيـــدا * مع كل طمــــوح دون التعــــب

دعـــاء به لمؤسستـــه قـــد * دعــا لحسن حظ سعيد قـــرب

مشـــروع عهـــده ولـــى * للمقبلين بجد عليه تمنى خير نصيب

من خواطر يوسف السباعي الشعرية

Scanné avec CamScanner

الفهرس:

شــكر.. 1

قلنسوة الأدب 3

تقديم... 5

الفصل الأول 7

حديث الصبا.. 8

وداع الصديق وفراسة الأدب.......................... 12

نمو في العمق 16

الفصل الثاني.. 20

مشروع في الطريق................................... 21

تمحيص وانتقاء 25

مسيرة مرشح 30

بريق الأمل.. 35

حيلولة الوقت.. 39

Scanné avec CamScanner

جائزة الرضا 44
آخر العهد 49
مبادرة كتابة شعرية 53
الفهرس 54

Scanné avec CamScanner

بأسلوب بديع مقتبس

وفكر خالص مرتجل

سيرة ذاتية - أخي القارئ- لك أكتبها

محاولا أن أكون رمزا للأجيال وقنا للشباب،

أبلغ رسالتي قبل الفراق والتساق الساق بالساق.

طريق عرجت عليها أضاءت حياتي، وضعتني

على درب الأدب هي الآن طريقكم أقبلوا

تعلموا! واقرؤوا، كتبا لكم وزجوا بأنفسكم !

في هذا المشروع الطموح! مشروع أمة، مشروع

تحدي القراءة العربي دعما للأدب وإكراما للغة.

01/07/2016

Scanné avec CamScanner